

## الأمازيغية وإشكالية الهوية

### د. عزمي زكريا أبو العز

مدرس فلسفة كلية أداب - جامعة القاهرة - فرع الخرطوم

كونها خصوصية مستقلة بذاتها، وهكذا تصل هذه الأبحاث إلى النقاء العرقي<sup>(١)</sup>.

أما عن السياق الثاني «السياسي - الأيديولوجي» وقد ارتبط هذا السياق في البداية ببعث ثقافي؛ ومن هنا جاءت تسمية «الجمعيات الثقافية الأمازيغية»، لكن الاختراق الذي حققته الأطروحة الكولونيالية لهذا السياق؛ قد تحول به إلى مستوى المطلب السياسي، إذ حضرت الأمازيغية كقضية عرقية، ترتبط بجزء من سكان المغرب، وذلك في مقابل المنظور الوطني الذي يتعامل مع الأمازيغية كموضوع يهم جميع المغاربة<sup>(٢)</sup>.

وبين هذين السياقين تأتي بعض الكتابات القليلة التي ترى أن الجدل القائم حالياً حول الأمازيغية وحقيقتها يحتاج إلى مزيد من الحوار حول القضية الأمازيغية باعتبارها من القضايا الشائكة التي يتعذر فيها حسم الخلاف لصالح هذا الاتجاه أو ذلك لأنها قضية تتراوح ما بين هو ثقافي وما هو سياسي، ولذا يرى أصحاب هذا الاتجاه

تعد القضية الأمازيغية من أهم القضايا التي تواجه الفكر العربي الإسلامي في الوقت الحالي، وتسعى هذه الدراسة إلى مقارنة موضوع شائك في الثقافة المغربية، وهو موضوع إشكالية الهوية، وهو موضوع يتداخل فيه ما هو سياسي بما هو سوسولوجي وثقافي، وهذا ما يعقد مهمة هذا البحث بشكل أكبر، ويفرض عليه الكثير من الحيلة والحذر، منهجياً وتطبيقياً.

لقد حضر موضوع الأمازيغية ضمن مجموعة من المقالات والأبحاث والدراسات القليلة، لكن معظم هذه الأبحاث لا تخرج في الغالب عن سياقين اثنين: هما السياق السوسولوجي، والسياق السياسي.

أما عن السياق الأول «السوسولوجي - الإثنوغرافي» الذي يركز في الأمازيغية على البعد الثقافي والاجتماعي ويزعم رواد هذا السياق، أن الأمازيغية في المغرب، تتجاوز كونها عنصرًا من بين عناصر أخرى مشكلة للنسق الاجتماعي والثقافي المغربي (العروبة، الإسلام، البعد الأفريقي والأندلسي)، إلى

الأمازيغية وإشكالية الهوية، المجلد الثاني، العدد ٢، ٢٠١٣، ص ٢٤٩ - ٢٦٩.

### مفاهيم الدراسة:

قبل الدخول في تفاصيل الدراسة نرى أهمية تحديد المفاهيم حتى يتسنى لنا الوصول إلى نتائج محددة مبنية على قواعد مفهومية دقيقة، ونتيجة لذلك نرى أهمية تحديد مفاهيم الدراسة ومنها مفهوم الأمازيغية، ومفهوم الهوية.

### أولاً: مفهوم الأمازيغية:

ليس من السهل تقديم توصيف دقيق أو تعريف جامع مانع للتيار الأمازيغي في المغرب العربي، فهو تيار معقد ومتشابك لما في داخله من ملابسات وتوجهات مختلفة: ثقافية، وأيديولوجية، وقومية، وسياسية، واجتماعية.

### ١- الأمازيغية (المعنى اللغوي والإصطلاحي):

ذهبت المصادر الكلاسيكية القديمة من يونانية ولاينية إلى أن اسم «أمازيغ» قديم جداً، وكان معروفاً حتى في العهد الفينيقي، وورد بصيغ متعددة منها "Mazax" مازيس ونتيجة صعوبة نطق الكلمة واختلاف أصول الأصوات بين اللغات خاصة الإغريقية واللاتينية تغيرت الكلمة فأصبحت «أمازيغ»، مما جعل الكاتب الروماني «فيلينوس» يقول في هذا الموضوع: يتعذر على حناجر البربر أن تستطيع النطق بأسماء

أنه لا يخفي المثقف الإسلامي مخاوفه ومحاذره من الحركة الأمازيغية أو التحرك الأمازيغي المتصاعد - على حد قولهم - الذي ولد عدة تحفظات وتخوفات - عبر عنها العديد من المثقفين والمهتمين - في عدة نقاط منها (التخوف من أن تكون الحركة الأمازيغية مدخلا إلى نزعة عرقية - التخوف من أن تكون الحركة الأمازيغية مدخلا لبروز ميول انفصالية - التخوف من أن تكون الحركة الأمازيغية مدخلا لمزيد من تكريس الفرنكفونية في اللغة العربية - التخوف من أن تكون الحركة الأمازيغية مدخلا لإنتاج مشروع معاد للإسلام.. على حد قول أنصار هذا الرأي) وفي نفس الوقت على الأمازيغي أن يحقق أهدافه المشروعة المرتبطة بتراثه الثقافي واللغوي، ولكي يتم حسم هذه الإشكالية - من وجهة نظر أتباع هذا الرأي - لا بد من إجراء حوار حقيقي بين الجانبين<sup>(٣)</sup>. لكن هذا الاتجاه يوجه له العديد من الانتقادات لعل أبرزها، أن الحركة الأمازيغية ليست واحدة وهذا يصعب من مسألة إجراء حوار، كما أن الاتجاه الإسلامي في المغرب العربي ليس واحداً أيضاً. بالإضافة إلى أن الأمازيغ أنفسهم لا يرون الإسلام معادياً لهم كما ادعى أصحاب هذا الاتجاه، كما أنهم أثروا وتأثروا بالثقافة الإسلامية وهم لا ينكرون ذلك.

عيلان المضرى العدناني<sup>(٤٠)</sup>، ويناقض ابن خلدون نفسه في موضع آخر ليتفق مع الرأي الثاني، حينما ينسب «البت» لنسل قيس عيلان<sup>(٤١)</sup>.

وخلاصة القول إن ما وجد من مصادر عربية على كثرتها وتنوع مشاربها لم يذكر فيها هذا الاسم «أمازيغ» كاسم من الأسماء التاريخية الثابتة والمعتبرة كما جاء ذلك في مدونات الإغريق واللاتين، إلى أن ذكر في كتاب «التيجان في ملوك حمير» اسم «أمازيغ» وكان من أبرز الأسماء التي ترددت كثيرًا مع سرد أحداث ذات أهمية تاريخية بملوك حمير<sup>(٤٢)</sup>.

من واحة سيوة في أقصى صحراء مصر الغربية على حدودها مع ليبيا إلى جزر الكنارى - الجزائر الخالدات - في المحيط الأطلسي - بحر الظلمات كما أطلق عليه قديماً - ومن ساحل البحر المتوسط شمالاً حتى موريتانيا جنوباً تنتشر منذ قديم الأزل وحتى اليوم مجموعة من القبائل البدوية الصحرواية تسمى «قبائل البربر» وقد أطلق الرومان عليها هذا الاسم العنصري الاستعلائي (Barbarus) الذي كانت تطلقه على الشعوب الخارجة عن نطاق وسيطرة الحضارة الرومانية، وذلك لكون هذه القبائل استعصت على الحكم الروماني وقاومته بشراسة فلم تخضع له ولم تدخل في طاعته كباقي الأمم، وهو الاسم الذي ظل يلازمهم

قبائلهم ومدنهم<sup>(٤٣)</sup>، كما نجد في الأخبار المتفرقة أن «مازيس» كان يطلق على شعب قوي أقلق الرومان كثيراً بثوراته، حيث تذكر بعض المصادر البيزنطية أنه كان أيضاً يطلق على أهل أفريقية، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ شارل أندري جوليان الذي قال: «وقد أطلق الاسم على قبائل عديدة قبيل الاحتلال الروماني»<sup>(٤٤)</sup>.

أما مصادر التراث العربي الإسلامي، فمن الغريب أن هذا الاسم لا نجده شائعاً إلا عند نسبة البربر، أما المؤرخون والنسابة من العرب فإنهم لم يذكروا هذا الاسم في ما كتبوه عن البربر وأصلهم، وبهذا نعرف أن نسبة البربر وحدهم قد اقتصوا بذكر هذا الاسم. وعنهم أخذ عبد الرحمن بن خلدون، وهم بصفة عامة يصنفون البربر إلى جذعين كبيرين هما: البرانس (أبناء برنس) والبت (أبناء مذغيس) ولنسابة البربر في هذه النقطة رأيان: الأول: للنسابة الكبير أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الإباضي، الذي يجعل البربر بجذعيهما: البرانس والبت من أصل واحد ينحدر من نسل مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح<sup>(٤٥)</sup>، والثاني: لعموم نسبة البربر مثل هاني بن بكور الضريسي وسابق بن سليم المطاطي وغيرهما. هؤلاء جميعاً يجعلون «البرنس» من نسل مازيغ بن حام بن نوح، إلا أنهم يجعلون البتر من نسل قيس

أن اتساع الصحراء المحيطة بهم وخوفاً من أن يوغلوا فيها جعلهم يعتقدون وجود أرواح شريرة تشيع في المناطق التي تجاورهم، ومن ثم اختلط دينهم الوثني بالسحر، وامتلاً بالأدعية والحركات التي كانوا يظنون أن تأديتهم لها من شأنه أن يدفع عنهم هذه الأرواح الشريرة، ويساعد الأرواح الطيبة في الإقامة بينهم<sup>(١٧)</sup>.

على أية حال لقد تجاهل الأمازيغيون اسم «البربر» في لغتهم طوال العصور، واحتفظوا باسمهم الأصلي «إمازيغن»<sup>(١٨)</sup>. أما عن كلمة «أمازيغ» وهو الاسم الذي يسمى به «البربر» أنفسهم، مؤنث أمازيغ هو تامازيغت، يطلق على المرأة وعلى اللغة عند قبائل «التوارك» المنتشرة في قلب الصحراء الكبرى، يُسكن حرف الزاي في «أمازيغ» ويقلب إما هاء وإما شينا أو جيما بحيث تنطلق اللفظة «أماهغ» عند التوارك الجزائريين، و«أماشغ» عند التوارك المالين، و«أماجغ» عند التوارك النيجيريين<sup>(١٩)</sup>.

ويعرّف الأمازيغ أنفسهم حسب المجموعة أو الطائفة التي ينتسبون إليها (الطوارق- القبائل- المزابيون- الشاوية- الشنويون- المسردة...) ويستعملون أحياناً كلمة «إمازيغن» التي تعنى: «الرجال الأحرار» ويقصد بهم الأمازيغ<sup>(٢٠)</sup>.

حتى اليوم، خاصة أن المسلمين الفاتحين انتقلوا به من المعنى الروماني السلبي إلى معنى أكثر إيجابية يرتبط بنطقهم للغة الأمازيغية التي يتحدثون بها والتي تحوي رطانة أعجمية غير مفهومة لدى العرب<sup>(٢١)</sup>.

وكلمة البربر ليست إلا الكلمة التي كان قدماء الرومان يطلقونها على سكان الشمال الأفريقي التابعين أو المجاورين لهم. وكانت الكلمة يطلقها الرومان (الروم في عهد الامبراطورية الرومانية الغربية التي كانت عاصمتها روما) أو البيزنطيون (الروم في عهد الامبراطورية الشرقية التي اتخذت القسطنطينية عاصمة لها) فيقصدون بها سكان الشمال الأفريقي ممن لا ينتمون إلى حضارتهم، أما البربر أنفسهم فلم يستخدموا هذا الاسم للدلالة على جنسهم، بل كانوا يميزون أنفسهم بالقبيلة التي ينتمون إليها<sup>(٢٢)</sup>.

وكان البربر منذ القدم أما زراعاً يعيشون في المناطق الخصبة في حياة تميل إلى الاستقرار، وإمارة يعيشون في الجبال أو في الصحراء...، وكان من الطبيعي أن يتأثر دينهم المجوسي الوثني الذي كانوا عليه قبل نزول الأديان بطريقة معيشتهم وبمناخ بلادهم الذي كثيراً ما كان يفتقر إلى الأمطار وخاصة في داخل البلاد، فامتلاً دين القوم بكثير من الطقوس والشعوذة والتعاويد التي كانوا يرددونها لاستجلاب الأمطار، هذا إلى

ومقهورون في ليبيا، ومتمردون في الجزائر، ومشاركون في المغرب، أما في موريتانيا والنيجر ومالي فهم مندمجون.

ويرفض أصحاب اللغة الأمازيغية الرأي الذي يرى أن اللغة الأمازيغية تقف حاجزاً بين الأمازيغ والإسلام، لأن هذه اللغة قابلة بطبيعتها الصرفية والاشتقاقية لحمل المضامين الإسلامية، بل هي تحملها فعلاً، كما يظهر في تراثها الأدبي الذي يزرع بقصائد شعرية رائعة في الإرشاد بتعاليم الإسلام والدعوة إلى التمسك بها، والزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة، وما إلى ذلك من أغراض دينية، ومنذ دخل الإسلام المغرب اهتم به الأمازيغ وأولوه كامل عنايةهم فاجتهدوا في حفظ القرآن والحديث وتعلم الفقه، ووجد منهم علماء أعلام أتقنوا العربية والقوا بها ونقلوا منها إلى لغتهم الأمازيغية ما شاء الله نقله من المضامين الإسلامية، ولتيسير الفهم والاستيعاب كانوا يدرسون ويعطون باللسانين العربي والأمازيغي<sup>(١٧)</sup>.

ولعل أبرز دليل على هذا الأمر في هذا السياق هو موقف الإمام عبد الحميد بن باديس<sup>(١٨)</sup>، من اعتزازه بالإسلام والحضارة العربية الإسلامية من ناحية أخرى، واعتزازه بتراثه وثقافته الأمازيغية من ناحية أخرى<sup>(١٩)</sup>.

ولو انتقلنا إلى قضية أخرى وهي قضية مسألة أصل الأمازيغ فقد نوقشت في القدم ثم همشت وجمدت بفعل المضاربات الجينالوجية الدقيقة التي سادت في القرون الوسطى، وأعيد النظر فيها في عهد الاستعمار، فتارة تركز البحوث فيها على المصادر اللغوية وتارة أخرى على الروابط العرقية، إلا أنها تبقى مسألة معقدة طالما أنها تضرب جذورها في العصور الغابرة التي نشأت خلالها الحضارات البشرية الأولى<sup>(٢٠)</sup>.

ورغم أن «الأمازيغ» هم أكبر الجماعات اللغوية غير العربية في البلدان العربية ويصل عددهم إلى حوالي ٤٦ مليون نسمة تقريباً يتركزون في الشمال الأفريقي - باستثناء مصر إلا بأعداد قليلة في واحة سيوة - ويربطهم جغرافياً عامل المكان وعنصر الأرض واللغة) والمصالح المشتركة في مقوماتها وذلك توافر الوحدة السياسية بل إن طموحهم الأساسي الحالي هو الاعتراف بلغتهم «الأمازيغية» والتي تكتب بحروف تسمى "تيفيناغ" كلغة رسمية ومساواتها باللغة العربية ويتبع ذلك الاعتراف بالثقافة «الأمازيغية» بشكل علني وعلى نطاق واسع، أي أن مطالبهم في الأساس ثقافية أكثر منها سياسية. ربما لأنهم منسيون في مصر،

إن أغلب القبائل الأمازيغية تدين بمذهب الإباضية<sup>(٣٠)</sup>، ومن المعروف أن الإباضية: أحد المذاهب الاعتقادية التي لعبت دورًا بارزًا في الحياة الفكرية والسياسية على الساحة العربية منذ القرن الثاني الهجري، ويمتد تأثيرها ووجودها حتى الآن بسبب اعتدالها وجرأة مواقفها وأصالة مذهبهم وتنسب من الناحية الفقهية والمذهبية إلى الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني (٢٢-٩٦هـ)<sup>(٣١)</sup>.

وترجع أصول المذهب الإباضي التاريخية والحركية إلى قصة أخطر شقاق في حياة المسلمين إبان خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعقب معركة صفين<sup>(٣٢)</sup>، وكانت الخوارج الإباضية في المغرب أكثر توفيقًا من الصفرية من حيث استمرار الحكم واستقرارهم فيه، والأصل في قيام الإباضية بالمغرب ما رأوه من اشتطاط الصفرية، خاصة ممن كان منهم تابعًا لقبيلة «ورفجومة» في تنفيذ تعاليمهم وتشددهم المطلق في تطبيق المبادئ الدينية وتذبيحهم للنساء والأطفال، فقام أحد الخوارج الإباضية ممن كانوا قد اتخذوا موطنًا لهم جبل نفوسه، ويدعى أبو الخطاب، بمقاتلة الصفرية، وكان ذلك أيام ولاية أبي جعفر المنصور، ونجح في السيطرة على الجانب الشرقي من شمال أفريقية واحتل القيروان وولى عليها عبد الرحمن بن رستم الذي أسس الدولة

الرستمية، واستمرت في الحكم حوالي قرن ونصف ١٤٤-١٩٦ هـ أو ٧٦١-٩٠٩ م، فكانت بهذا أول دولة خارجية في الشمال الأفريقي<sup>(٣٣)</sup>.

وتذكر المصادر أنه بفضل الدور الإيجابي للمدرسة الإباضية وحملة العلم استطاع عبد الرحمن بن رستم عام ١٦٠ هـ من تأسيس أول دولة جزائرية إسلامية على المذهب الإباضي، وقد استمرت الإمامة الإباضية الرستمية أكثر من مائتي عام تقريبًا، ويصف يحيى بو عزيز الإمامة الإباضية في الجزائر وقت قيام الدولة الرستمية قائلًا: كان نظام الحكم في هذه الإمارة شوربيًا يطبق أتمتها أحكام القرآن والسنة، وسعوا جهودهم لإصلاح الأوضاع فانتشرت الثقافة العربية بشكل ملحوظ بين القبائل الأمازيغية، وأصبحت مدينة تيهرت - من أشهر المدن الأمازيغية - العاصمة ملتقى القوافل التجارية وطلاب العلم وانتشر بها الرخاء وعمت الأخلاق الإسلامية التي وقفت بحزم لمحاربة الرزيلة<sup>(٣٤)</sup>.

ولم تكن ثورة أبي الخطاب وتأسيس الدولة الرستمية هي الحركة الوحيدة التي شهدتها المغرب على يد الخوارج الإباضية، فقد قامت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ثورة أخرى تزعمها «أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي» المعروف بـ «راكب الحمار» وهو من

بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها<sup>(٢١)</sup>. وتأسيساً على المقاربة الفلسفية، تعبر الهوية عن حقيقة الشيء المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، كما تعبر عن خاصية المطابقة أي مطابقة الشيء لنفسه أو لمثله، وبالتالي فالهوية الثقافية لأي شعب هي القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارته عن غيرها من الحضارات<sup>(٢٢)</sup>.

ماذا تعني الهوية؟ هل هي مفهوم ثابت ضيق؟ معلق على ذاته؟ أم هي مفهوم منفتح على الآخر بقدر انفتاحه على ذاته؟ هل يمكن أن تشكل الهوية بمعزل عن الآخر؟ كيف تتكون الخصوصية؟ هل يهددها الانفتاح على الآخر أم يغنيها؟ ترى من المسئول عن النظرة الضيقة للهوية؟ هل هو الأنا أم الآخر؟ أليس المسئول عنها كل من يتركز حول ذاته ويمسح غيره في صور نمطية تلغي إنسانيته؟ أليس كل ما يدور حول جملة من الثوابت والأوهام ويجعل الآخر نقيضاً له؟<sup>(٢٣)</sup>

حين يحس المرء بأن ثمة ما يهدد وجوده؛ يسرع إلى تأكيد ذاته باحثاً عن شيء أصيل كامن في أعماقه يركن إليه، كي يحس الثقة والأمان والقوة في مواجهة الخطر، وبذلك تتشكل الهوية في ادغال الذات، حيث تتجسد

جماعة النكارية الأباضية المتطرفة، واستطاع تآليب الشمال الأفريقي علي المهدي الفاطمي، ونجح في هذا إلى حد بعيد<sup>(٢٤)</sup>.

ومن المعروف تاريخياً أنه بانتشار الإباضية في المغرب العربي حدثت مواجهة ثقافية مع فرق أمازيغية كانت منتشرة وقتها ومنها (النكارية- النفاثية- الحسنية- السكاكية- الفرثية) والتي كانت منتشرة في بلاد ليبيا وتونس والجزائر إبان حكم الدولة الرستمية، ولم تصمد هذه الفرق في مواجهة الفكر الإباضي<sup>(٢٥)</sup>.

### ثانياً: الهوية الأمازيغية (الثوابت والمخصصات) :

يعود بداية توظيف واستخدام مفهوم «الهوية» في الدراسات الإنسانية عامة والاجتماعية خاصة إلى عالم النفس إ. إريكسون<sup>(٢٦)</sup>، حيث قام بدور مركزي في نشر استخدام هذه الكلمة وتوسيع شعبيتها في العلوم الإنسانية<sup>(٢٧)</sup>.

وفي اللغة العربية يشتق المعنى اللغوي لمصطلح الهوية من الضمير هو، أما مصطلح الهو هو المركب من تكرار هو. فقد تم وضعه كاسم معرف بال ومعناه (الاتحاد بالذات). ويشير إلى ما يكون به الشيء هو هو، أي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته وتمييزه عن غيره، فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري، ومحتوى لهذا الضمير في نفس الآن،

فينتهي بذلك وجوده<sup>(٣٤)</sup>. وإذا كان إجماع الباحثين حول فكرة أنه لا وجود لشعب دون هوية، فإنهم اختلفوا في الشكل الذي يحدد الهوية. وفي هذا السياق انتقد أحد الباحثين<sup>(٣٥)</sup>، ما أسماه بالشكل الميتافيزيقي الذي يحدد هوية الأمم والشعوب، ويقدم شخصيتها في إطار تصورات مثالية، دون الرؤية إليها كمجموعات حية تتميز باحتمالات تكشف عن ذاتها في عملية تحققها، ويطرح مقابل ذلك مقاربة سوسولوجية ترى أن الهوية تتغذى بالتاريخ وتشكل استجابة مرنة تتحول مع تحول الأوضاع الاجتماعية والتاريخية، دون أن تشكل ردًا طبيعيًا، وبذلك فهي هوية نسبية تتغير مع حركة التاريخ وانعطافات. والواقع أن مسألة ثبوت الهوية أو تغيرها قد طرحت على محك المسألة والنقاش، وأثبتت المجادلات العلمية أن هوية أي مجتمع ليست أمرًا ثابتًا كما ذهب إلى ذلك المفكر المغربي محمد عابد الجابري، بل يرتبط بالمؤثرات الخارجية وبالتداول العلمي للأفكار والثقافات. كما يرتبط بالصراع على السلطة، وهي الصراعات التي تشحذها هي نفسها بصورة مباشرة أو غير مباشرة المؤثرات الخارجية ولعبة التوازنات، لكن يبدو لي أن تغير الهويات ينبغي أن يخضع لقانون التوازن بين الثوابت المميزة للهوية والعناصر القابلة للتحول، وإلا كانت الهوية عرضة للخطر والتدمير، فالهوية تتضمن

عبر انتماءات ومكونات تتعلق بالجنس والعمر والطبقة الاجتماعية والموروث الثقافي والذي يشكل ركيزة أساسية منها، مما يجعل الآخر المعتدي يهتم بالقضاء عليها، أي على الثوابت، أي على كل الثوابت التي تشكل الروح والوعي، حين أذن يسهل القضاء على الخصوصية. فالهوية: هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمان، إذ تلازمه مكونة شخصيته ومحددة بعالمه بشكل ثابت مما يمنح إبداعه طابعًا خاصًا فلا يكون مسخًا للآخرين لأنها تعد شرطًا ملازمًا للفرد يؤثر في الجماعة، ويمنحها سمة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل - الآنا- عن ال-نحن- لأن الهوية تحقق شعورًا غريزيًا بالانتماء إلى الجماعة والتماهي بها فتبادل معها الاعتراف وبذلك لا يمكن اختزالها في تعريف صافٍ وبسيط<sup>(٣٦)</sup>.

ومن هذا الشعور القومي ذاته، يستمد الفرد إحساسه بالهوية والانتماء، ويجسّ بأنه ليس مجرد فرد نكرة، وإنما يشترك مع عدد كبير من أفراد الجماعة في عدد من المعطيات والمكونات والأهداف، وينتمي إلى ثقافة مركبة من جملة من المعايير والرموز والصور<sup>(٣٧)</sup>، وفي حالة انعدام شعور الفرد بهويته نتيجة عوامل داخلية وخارجية، يتولد لديه ما يمكن أن تسميه بأزمة الهوية التي تفرز بدورها أزمة وعي ( Awareness Crisis) تؤدي إلى ضياع الهوية نهائيًا،

وقد احتدم النقاش حول هوية المغرب العربي وتمييزه عن المشرق العربي بين توجّهين متكاملين في المشروع الوطني ومختلفين في تصور الهوية الشخصية المغاربية، فهناك التوجه المشبع بالثقافة الفرنسية الذي يعتبر للشخصية المغربية متميزة عن المشرق العربي ويدعو للحفاظ على مقوماتها ومنها الأمازيغية، وهناك الاتجاه المشبع بالثقافة العربية-الإسلامية والذي يؤكد حضور الثقافة العربية وانتماءاتها العربية والإسلامية ويعتبر المغرب جزءاً من الأمة العربية، تكمل وحدة المشرق العربي<sup>(٣٨)</sup>، وقد تجلّى صراع هذين التوجّهين في الأزمة التي عرفتها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في الجزائر بظهور الأزمة البربرية عام ١٩٤٩م، وكان موضوع الهوية حاضراً في مشروع الدولة التونسية.

يمكننا القول بأن موضوع القضية الأمازيغية في المغرب قد انتقل من الهامش إلى المركز بعد عدة محطات تراكمية، انطلقت منذ نهاية الستينات مع «الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي»<sup>(٣٩)</sup>، ثم تطورت في بداية التسعينات مع ميثاق الحقوق اللغوية والثقافية (المعروف بميثاق أغادير) والتطور الذي عرفته الجمعيات الأمازيغية على مستوى التنسيق الداخلي والخارجي، ومن ضمن أبرز الأمور المرتبطة بتحول القضية

مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير. ويعتبر الدين واللغة من الثوابت الراسخة، بينما تكون المكونات الأخرى من عادات وقيم وطرق تفكير قابلة للتغيير في الشكل الإيجابي الذي تحدده حركية المجتمع وتفاعله بمحيطه الخارجي، وإذا كان القول بثبات اللغة كمعطى أساسي للهوية، فإن ذلك لا يعني تقدسها، والحيلولة دون تطوير بنيتها لإنتاج أفكار جديدة وتوليد مصطلحات لغوية ذات قيمة، وعلى العموم فإن مكونات الهوية الإنسانية تنسج وجودها عبر شبكة من العلاقات التي تندرج في الخصائص الحضارية والمشاركات التالية:

١- مجال جغرافية ووطن تاريخي مشترك.

٢- أساطير وذاكرة تاريخية مشتركة.

٣- ثقافة شعبية مشتركة.

٤- منظومة حقوق وواجبات مشتركة.

٥- اقتصاد مشترك مرتبط بمناطق معينة<sup>(٤٠)</sup>.

ولا شك أن الهوية العربية التي بدأت في التشكل منذ كتابة صحيفة النبي ﷺ بعد هجرته إلى يثرب، انطلقت من مبدأ التغيير مع الإبقاء على الثوابت، ولذلك شاركت الهوية العربية في منظومة الإنتاج الحضاري وبناء التراث العالمي، وبقيت اللغة العربية محافظة على ثباتها الإيجابي باعتبارها مكوناً أساسياً للهوية العربية<sup>(٤١)</sup>.

بروتوكول ينظم أعماله، وكان التنسيق بين الجمعيات يهدف إلى تكثيف الجهود انطلاقاً مما هو مشترك في استراتيجياتها النضالية، من أجل التحرك داخل المجتمع المدني كقوة ضاغطة بقصد انتزاع المطالب المنصوص عليها في الميثاق<sup>(٤٣)</sup>، وحتى عام ٢٠٠٠م كانت الحركة الأمازيغية تنشط بعيداً عن المؤسسات الرسمية، وكانت تعبيراً عن طموحات تعمل من أجل دعم الأمازيغ في الفضاء العام في المغرب، ولكنها كانت تحتفظ في الوقت نفسه بتواصل مع دوائر الحكم في المغرب، سواء في فترة الحسن الثاني أو بعده مع الملك محمد السادس، إلى أن تغير موقف الدولة من المسألة الأمازيغية بعد اعتلاء الملك محمد السادس العرش سنة ١٩٩٩م، ويعود ذلك إلى رغبة الملك الجديد في إرساء ملكه وتثبيتته والعمل على حل جميع القضايا التي تركها والده الملك الحسن الثاني دون حل، وهذا ما أدى بالملك الجديد إلى فتح عهد جديد مع الأمازيغ بدأ بمجموعة من المبادرات مثل تأسيس «هيئة الإنصاف والمصالحة»، وإنشاء «ديوان المظالم»، وفي هذا السياق الاحتوائي تم تأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في أواخر سنة ٢٠٠١م، لينشأ المعهد، وينسق مهامه، ويحدد اختصاصاته ومجالات عمله<sup>(٤٤)</sup>.

الأمازيغية إلى السطح حدثين رئيسيين؛ الحدث الأول: وهو مرتبط بأحداث «الربيع الأمازيغي»<sup>(٤٥)</sup> في الجزائر خلال شهر إبريل لعام ١٩٨٠م، حيث خرجت تظاهرات كبيرة تحتج على منع الكاتب مولود المعمرى<sup>(٤٦)</sup> من إلقاء محاضرة عن الأدب الأمازيغي القديم في جامعة - تيزي وزو-؛ أما الحدث الثاني: فهو ذو بعد داخلي يرتبط بأحداث الفاتح من مايو سنة ١٩٩٤م في الرشيدية، حيث تم اعتقال سبعة أساتذة يحملون لافتات مكتوبة بحروف أمازيغية، فقد أدى اعتقال هؤلاء الأساتذة إلى قيام الناشطين الأمازيغ بحملة تضامن واسعة شارك فيها حقوقيون وسياسيون مغاربة، كما تعززت صفوف الحركة الأمازيغية بعدد من اليساريين، الأمر الذي أدى إلى تحولات في بنيتها الداخلية أثرت في طريقة عمل الحركة الأمازيغية وطورت مطالبها من ثقافية إلى مطالب حقوقية وسياسية<sup>(٤٧)</sup>.

وارتبط التحول الثاني بميثاق أعادير الذي شكل الأرضية الأيديولوجية التي انبثقت عنها مجموعة من المبادرات التنسيقية بين الجمعيات الأمازيغية التي تضاعف عددها حتى بلغت عشرة جمعيات، تتحالف في إطار مجلس تنسيقي سمي بـ «مجلس التنسيق الوطني CNC» والذي تم إنشاؤه يوم ١٩ فبراير عام ١٩٩٣م ووضع له

## العلاقة بين الثقافة الأمازيغية والثقافة العربية

«من التصارع الثقافي إلى التعايش - رؤية نقدية»:

ترجع جذور المسألة الأمازيغية في المغرب إلى بداية القرن الماضي، مع جهود الاستعمار الفرنسي عبر البعثة العلمية، ومعهد الدراسات البربرية في باريس والرباط، حيث كان يُصدر أعدادًا من مجلة «الأرشيف البربري» في الفترة ما بين ١٩١٥ - ١٩١٨م، ثم مع مجلة - هسبريس -، التي صدرت بداية من عام ١٩٢١م، والتي كان يعدّها ضباط فرنسيون ومستشرقون بالإضافة إلى أثروبولوجيين وسوسولوجيين فرنسيين، وقد انطلقت المسألة الأمازيغية فعليًا مع - ميشو بلير - الذي يمكن اعتباره أول من دعا إلى توظيف ثنائية العرب/ البربر، والتي أصبحت فيما بعد مقولة أساسية لجميع الدراسات الكولونيالية في المغرب العربي، وتلقفها بعده روبرت مونتاني، الذي كان ضابطًا في المخابرات، ودرس ظاهرة الزعامات عند القبائل الأمازيغية في كتابه الشهير: «البربر والمخزن»<sup>(٤٥)</sup>، بعد أن استعصى خضوع منطقة سوس للسيطرة الفرنسية، ونحت مونتاني مفهوم «الجمهورية البربرية»، وغيرها من المفاهيم التي كانت مؤسسة على تمييز معرفي غربي، من أجل إظهار التباين بين العرب والبربر. وادّعت هذه الأطروحات أن الوجود العربي في شمال أفريقيا عامة والمغرب

العربي بصفة خاصة هامشي في حين أن الوجود الأمازيغي هو امتداد للغرب وثقافته.

ويرى محمد الغيلاني أن دراسة مونتاني قامت على خلفية سياسة الاحتلال الفرنسي لتقسيم المغرب العربي في إطار ما عرف بـ «الظهير البربري»، لذلك نلاحظ تزامنًا بين صدور الكتاب وبروز الظهير عام ١٩٣٠م<sup>(٤٦)</sup>. وتعد فكرة «الظهير البربري» والتي تم اعتمادها في ١٦ مايو عام ١٩٣٠م، محاولة لتأسيس نظامين قانونيين مختلفين في المغرب العربي، الأول: مستند إلى القوانين العرفية المحلية ومخصص للأشخاص الأمازيغ، والثاني: مستند إلى الشريعة الإسلامية ومخصص للعرب<sup>(٤٧)</sup>.

إن ما يفهم من خلال الكثير من الكتابات والآراء، أن المغالطة التي يقع فيها أصحابها هي التفريق بين ما هو عربي وما هو أمازيغي، وخلق الفوارق بين الثقافة العربية وبين التراث الأمازيغي الذي ظل يحتزله التصور الرسمي، ومن هذا حذوه في ما هو فلكلوري ومتحفى، ويعامل من منظور انتقائي ينصب فيه الاهتمام على الجوانب القابلة للاستهلاك السياحي أو السياسي لا غيرهما، والملاحظ أنه كلما كان يدور النقاش حول الأمازيغية في شقها اللغوي، كلما كان يطفو على السطح ذلك الجدل العقيم، الذي عهدته هذه القضية

بخلاف ما روجته بعض الأقلام الاستعمارية، من استعمار العرب لشمال إفريقيا - ومنها المغرب- يؤكد التاريخ أن الشراكة التي قامت بين العرب والأمازيغ، هي التي ساهمت بشكل حاسم في تأسيس الدولة المغربية. فقد تقلدت أسر أمازيغية، الحكم في فترات متعددة من التاريخ السياسي للمغرب (المرابطون، الموحدون، المرينيون، الوطاسيون)، ولا ينقل إلينا التاريخ أن هذه الدول، كانت تنفذ سياسة بربرية، كتلك التي أسس لها الاستعمار الفرنسي، بل كانت دول تعزز بهويتها المغربية، التي تشكلت عبر انصهار عرقي وثقافي واجتماعي ديني... جمع العرب بالأمازيغ. وفي المقابل حكمت المغرب أسر عربية (الأدارسة، السعديون، العلويون)، وكذلك لا ينقل إلينا التاريخ أن هذه الدول كانت تنفذ سياسة تبعية للمشرق، ونحن نعلم أن السلاطين المغاربة، على مر تاريخ الدولة المغربية، دافعوا عن استقلالية المغرب وخصوصيته، سواء في علاقته بالخلافة العباسية، أو في علاقته بالخلافة العثمانية، وبالتالي لم يكن أمام الأستعمار من حل سوى ضرب تلك الوحدة المتماسكة بين العرب والأمازيغ<sup>(٤٩)</sup>.

حيث قامت السياسة الاستعمارية في المغرب العربي، على أساس تكريس ثنائية عرب-بربر، باعتبارها المدخل الرئيسي،

بسخونته وحدته وتعصبه، ناهيك عن النقاشات الأخرى التي تتعلق بأصل الأمازيغ وأخلاقهم وتاريخهم، والثقافة التي أتجوها وغير ذلك<sup>(٥٠)</sup>.

والحقيقة أنه يصعب طرح تطور المسألة الأمازيغية في شمال أفريقيا والمغرب العربي في بضعة سطور أو بضعة صفحات، لكننا أردنا التنبيه بداية على كيفية ظهور القضية الأمازيغية على يد الاستعمار وكيفية توظيفها لصالحه.

وإذا كان المغرب العربي يعيش صراع الهوية بين ما هو عربي وإسلامي من جهة، وما هو أمازيغي من جهة أخرى، أفلا يعيش الواقع المصري الصراع نفسه بين التيار الإسلامي من جهة والتيار العلماني من جهة أخرى؟ وهل هذه القضية في حقيقتها صراع أم تعددية؟ وهل هناك من يستطيع أن يفصل بين الثقافة النوبية في مصر وبين الثقافة المصرية في مجالها العام؟ اعتقد أن الأجابة ستكون واحدة على هذه التساؤلات وهي تكمن في قبول مبدأ «التعددية الثقافية» الذي يعتبر ثراء لكل ثقافة لا فقراً، خاصة إذا اعتبرنا الثقافة العربية طبقات شيدها سكان العالم العربي بعضها فوق البعض.

فمنذ تأسيس الدولة المغربية، على يد إدريس الأول، بدأت المعالم الأولى للهوية السياسية والاجتماعية المغربية تتشكل، فعلى

فِي ذَلِكَ لَأَيِّتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾. إن ما يستفاد من هذه الآية الكريمة أن الاختلاف الملحوظ في موجودات الكون، على تباينها، وألوان البشر ولغاتهم في جوهره واحد، فهو ليس بعيب ولا شائبة، وإنما أمور طبيعية عادية، لذلك راعى الخطاب القرآني التباين الحاصل في اللهجات والثقافات والتقاليد، فاعتبره آية من آيات الله تعالى، غير أن البعض تجاسر على هذا الجانب الذي ربطه الله تعالى بمشيتته وإرادته، عندما سعى حثيثا إلى طمس لغات وثقافات الآخرين، واستبدالها تعسفا بما لا يمت بصلة إلى تركيبة فكرهم، ومقومات هويتهم، وطبيعة شخصيتهم.

يتحتم علينا إذن، أن نفهم العلاقة بين الأمازيغية والعربية في ضوء هذه الرؤية، وعزواها عن أي مقولة إجحافية تقصى الآخر لتكون ديمقراطية مع نفسها لا غير! وأيضا أن نراعى ذلك التعايش التاريخي الذي كان قائما بينها، على أساس أن «التكامل بين اللغة العربية كلغة رسمية، وبين اللغة الأمازيغية لا يشير في الحقيقة والواقع أي إشكال على مستوى الوحدة الوطنية لأن المسألة اللسانية في شمال أفريقيا لم تكن أبدا عاملا من عوامل التفرق والتشتت»<sup>(٥١)</sup>.

وبهذا، يمكن أن ندفع الأقاويل والطروح التي تفتعل في ذهن المتلقى صراعا مزعوما بين ما هو أمازيغي وما هو عربي، لا لشيء إلا

لتقسيم المغرب إلى مجالين منفصلين، على المستوى الاجتماعي والثقافي، وكذلك على المستوى الجغرافي، وقد تم توظيف الانتماء العرقي، كعامل حاسم لتنفيذ هذه السياسة. وكى لا تنفرط خيوط اللعبة الاستعمارية، فقد تم تطعيم المقاربة العسكرية بروح تربية - تعليمية كقوة ناعمة تساعد على إعادة إنتاج النسق الكولونيالي، ثقافياً واجتماعياً.

ونظرا إلى أهمية اللغة نقول: إن التعدد اللغوي شيء عادي، فهو يتخذ صبغة عالمية، لا تخلو منه بقعة من بقاع الكرة الأرضية التي يحيا عليها الإنسان، وقد حدثت هذه الأمور نفسها في الأزمنة كلها لدى جميع الشعوب التي بلغت درجة ما من الحضارة<sup>(٥٢)</sup>، فاليونان كانت لهم لغة مشتركة Koine الناتجة عن اللغتين الإيتيكية والأيونية، إلا أن لهجاتهم المحلية ظلت مستعملة إلى جانب هذه اللغات المشتركة، وهذا دليل قاطم على أن التعدد مسألة تملئها سجية الإنسان، فالإلغاء الذي يمس بعض الألسن ينم عن قصور في استيعاب مفهوم الحضارة، الذي يحضن مختلف الإنجازات الإنسانية المادية والمعنوية، ابتداء من أسلوب الكلام وصولا إلى طريقة صنع الأكل، ونجد ما يعضد هذه النظرة في القآن الكرم، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الروم: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَلْسِنَ وَاللُّغَةَ إِنَّا

والأمازيغية داخل المغرب، وحبس رفوف المكتبات وأعمدة الجرائد الصفراء، لأنه في الغالب لا ينطلق إلا من منطلقات أيديولوجية متشنجة؛ حزبية أو رسمية أو غيرهما، لا تراعى إلا أنانيته الفكرية التي تحجب حاجات وحقوق الإنسان المغربي العادي، الذي لا يدري شيئا من تلك الصراعات، من هذا المنطلق يمكن أن نستبدل معادلة التصارع اللغوي والثقافي المفتعل، بمعادلة التعايش اللغوي والثقافي المحتمل، كالذي يوجد عند الكثير من دول العالم.

وسوف يكون من ثمرات هذا التعايش الإيجابي، إقرار الحقوق اللغوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها لسائر مكونات المجتمع المغربي، فيصير، على سبيل المثال، تعلم اللغة الأمازيغية واجبا، كما أن تعلم العربية واجب، لكن لا ينبغي أن يكون تعلم أي لغة على حساب الأخرى، إن تعلم الأمازيغية يحمل بين طياته تشبها بالهوية الأصلية، أما تعلم العربية، فهو شرف كبير لكل من لا ينطق بها أو ليست لغته الأصلية، لأنها لغة دينه، وهنا يكمن الشرف.

لبذر جراثيم الحقد والضغينة بين هذين المكونين التاريخيين والحضاريين، وتتغاضى عن أن الأمازيغية ما كانت نقيضا للعربية أو ندا لها، بقدر ما كانت تتضافر وإياها لنسج التاريخ المغربي الإسلامي، فالأمازيغية والعربية، «هما كالقدم اليمنى والقدم اليسرى بالنسبة لأي شخص عادي، إذا فقد أي واحدة منهما فلن تكون له القدرة على المشي بشكل عادي، وبالأحرى القدرة على السير بالسرعة والوثيرة التي تتطلبها تقلبات التاريخ المعاصر، لنقل - كما قال كانط في إطار آخر - إن المجتمع المغربي بدون نمو اللغة العربية أعور، وبدون نمو الثقافة واللغة الأمازيغية أعمى»<sup>(٥٦)</sup>.

هكذا نتخطى تلك المغالطة التي تنصب التضاد بين الأمازيغية والعربية، إلى ثبت أن العلاقة التاريخية والواقعية القائمة بين الأمازيغية والعربية هي علاقة تضافر وتعاون، فثمة نوع من التوازن العفوي داخل المنظومة الاجتماعية للمغرب العربي، حيث أن توظيف كل منهما لدى المواطن العادي رهين بمدى الحاجة الواقعية واليومية في التواصل، لذلك فالمطلوب من السلطة هو العمل على تلبية هذه الحاجة عن طريق تعليم سائر الشعب دون استثناء اللغة التي يحتاج إليها في التواصل، أما كلام بعض النخبة السياسية أو الثقافية، الذي يجلي نوعا من الصراع بين الثقافة العربية

الهوامش:

- (١) من بين هذه الأبحاث على سبيل المثال لا الحصر:
- لحسن سرياك، الجزائر في أصول البشرية ثلاثون قرناً من التاريخ «الهوية الأمازيغية»: مدونة وببليوغرافيا، دار التنوير، الرباط، المغرب، ٢٠٠٣م.
  - محمد الغيلاني، تجربة البعثة العلمية ميشو بلير وروبير مونتاني، جريدة المساء المغربية، بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٣م.
  - الأمازيغية: اللغة والثقافة والتاريخ، ببليوغرافيات، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٩م.
- (٢) من بين هذه الأبحاث على سبيل المثال لا الحصر:
- محمد مصباحي، الأمازيغية في المغرب: جدل الداخل والخارج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المغرب، سلسلة تقييم حالة، ٢٠١١م.
  - إبراهيم أعراب، الإسلام السياسي والحدائثة، دار أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
  - الحسن مادي، السياسات التعليمية بالمغرب ورهانات المستقبل، منشورات مجلة علوم التربية، الرباط، المغرب، ١٩٩٩. ص: ٢٠-٢٩.
  - إدريس جنداري، الأطروحة الأمازيغية في
- المغرب بين المشروع الكولونيالي والرهان الوطني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الرباط، المغرب، ٢٠١٢م.
- (٣) لمزيد من التفاصيل انظر: الحركة الأمازيغية بين الذات والاستيلاء، ملف خاص صادر عن مجلة الفرقان، العدد ٣٨، الرباط، المغرب، ١٩٩٧م.
- (٤) عثمان الكعاك، البربر، سلسلة كتاب البعث، تونس، ١٩٥٦م، ص ١٠١.
- (٥) شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي ويشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط ٣، ١٩٧٨م، ج ١، ص ١٢-١٣.
- (٦) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٩م، ج ٦، ص ١٨٦.
- (٧) المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٧.
- (٨) المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٦.
- (٩) عبد الملك بن أيوب الحميري، التيجان في ملوك حمير، نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ط ٢، ١٩٧٩م، ص ١٨٠.
- (١٠) نهي الزيني، أيام الأمازيغ: أضواء على التاريخ السياسي الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٢م، ص ١١-١٢.
- (١١) يحيى هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الأفريقية - جزء أول - في الشمال

الإسلام ديننا، العروبة لغتنا، الجزائر وطننا، وهو شعار يُنسب عادة إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسسها الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، مع نخبة من رفاقه سنة ١٩٣١م، بل إن حقيقة هذا الشعار ينسب إليه شخصياً... انظر: على بن محمد، مقومات الهوية في فكر عبد الحميد بن باديس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠١١م.

أما عن اعتزاز الإمام عبد الحميد بن باديس بثقافته الأمازيغية فنجده يقول في مجلة الشهاب عامي ١٩٣٨-١٩٣٩م: «ما من نكير أن الأمة الجزائرية كانت أمازيغية من قديم عهدها ولم تستطع أمة في التاريخ أن تقلبها عن كيانها أو أن تخرج بها عن أمازيغيتها بل كانت هي تتلع الفاتحين، فلما جاء العرب وفتحوا الجزائر فتحاً إسلامياً لنشر الهداية لا لبيسط السيادة دخل الأمازيغ الإسلام وتعلموا لغة الإسلام العربية، طائعين، فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة، ونافسوهم في مجالس العلم، وشاطروهم سياسة الملك وقيادة الجيش، فاتخذوا العقيدة والنحلة، كما اتخذوا في الأدب واللغة، فأصبحوا شعباً واحداً عربياً متحداً غاية الاتحاد، ممتزجاً غاية الامتزاج، وأى افتراق يبقى بعد اتحاد الفؤاد واتحاد اللسان». ولا يتوقف كلام الإمام عند هذا الحد بل ذهب

الأفريقي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٣.

(١٢) المرجع السابق ص ١٥.

(١٣) محمد شقيق، تاريخ الأمازيغيين، الرباط، ٢٠٠٩، ص ١٢.

(١٤) نهي الزيني، أيام الأمازيغ، مرجع سابق، ص ١٢-١٣.

(١٥) حسن سرياك، الهوية الأمازيغية، المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥.

(١٦) عبد الحميد درويش، الإمامة والتقبة لدى مفكرى الإباضية، ص ٢٨-٢٩.

(١٧) فريد الأنصاري، مقالة بعنوان: القضية الأمازيغية في المغرب بين الهوية والإسلامية ومحاولة الاحتواء العلماني، صادرة عن مؤسسة مولاي عبد الله الشريف، الجزائر، ٢٠٠٥، ص ٧.

(١٨) لمزيد من التفاصيل انظر: عمار طالبي، ابن باديس: حياته وآثاره، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٨٦م.

انظر أيضا: أحمد محمود الجزائر، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٩م.

(١٩) ظهرت مقومات الهوية في فكر عبد الحميد بن باديس كشعار من أشهر الشعارات الوطنية التي راجت في الجزائر مند أوائل ثلاثينيات القرن العشرين المنصرم، شعار

- (٢١) عبد الحميد درويش، الإمامة والتقية لدى مفكرى الإباضية، المركز المصرى للأبحاث والدراسات، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٩.
- (٢٢) صابر طعيمة، الإباضية عقيدة ومذهب، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٧.
- (٢٣) يحيى هويدى، مرجع سابق، ص ٣٦.
- (٢٤) نقلا عن: عبد الحميد درويش، الإمامة والتقية لدى مفكرى الإباضية، ص ١٢٢ (بتصرف).
- (٢٥) يحيى هويدى، مرجع سابق، ص ٤٠.
- (٢٦) صابر طعيمة، الإباضية عقيدة ومذهب، ص ١٧٠.
- (٢٧) إريكسون: أمريكي من أصل ألماني، وهو من أهم رؤوس تيار الثقافة داخل التحليل النفسي. له دراسة بعنوان عن: «الأزمة في البحث عن الهوية»، توفي سنة ١٩٩٤.
- (٢٨) ففي سنة ١٩٣٣ غادر هذا العالم - الذي تكوّن في مدرسة التحليل النفسي - فيينا حيث تابع دروس آنا فرويد (ابنه عالم النفس الشهير فرويد) إلى الولايات المتحدة. وهناك اكتشف الأعمال الأثنوبولوجية للمدرسة الثقافية، وكان ذلك دافعاً له لتطوير أسس نظرية فرويد في مجال العلوم الاجتماعية. وفي الواقع، كانت مدرسة «الثقافة والشخصية» - بعلمائها الأثنوبولوجيين تعكف على دراسة إلى ما هو أبعد من ذلك حين قال: «ظل الاستعمار حقبة طويلة من الزمن يتأمر على وحدة الشعب الجزائري ويروج لنظرية انقسامه إلى أجناس وأعراق شتى فلما لم تعط المؤامرة النتائج التي كان يريها منها، كلف فئة من عملائه أصحاب الامتيازات، أولئك الذين لهم مصلحة مصيرية في خدمة السلطة الاستعمارية في أي ميدان تحدده لهم حتى لو كان وحدة الشعب والوطن».. نقلا عن: على بن محمد، مقومات الهوية في فكر عبد الحميد بن باديس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠١١م ص ٥٤.
- (٢٠) الإباضية أحد المذاهب الإسلامية، سمي بهذا الاسم نسبة إلى عبد الله بن إياض التميمي، والمؤسس الحقيقي للمذهب هو جابر بن زيد التابعي الجليل، وتنتشر الإباضية في سلطنة عُمان حيث يمثلون ٧٥٪ من العُمانيين ويتشرون أيضا في جبل نفوسة وفي زوارة في ليبيا، وفي جربة بتونس، ووادي مزاب في الجزائر، كما شهدت الجزائر قيام دولة إباضية مزدهرة في الدولة الرستمية من سنة (١٦٠ - ٢٩٦هـ) ومازال يوجد بها عدد ليس بقليل من الإباضية حتى اليوم، لمزيد من التفاصيل انظر: موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي، إشراف وتقديم الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١١م، ج٦، ص ٢٨.

السبعينيات، فإن تجربة الأمريكيين من أصل إفريقي مع قضية «الإثنية» باعتبارها تصنيفاً يفرض نفسه، وفي الوقت نفسه باعتبارها تحديداً ذاتياً للهوية... هذه التجربة كانت حاسمة ليس فقط لنفسها وفي داخل حدودها الخاصة، بل أيضاً في تقديمها لنموذج الاحتجاج على أساس من الهوية، وهو النموذج الذي استفادت منه جميع أنواع الهويات، بدءاً من تلك التي تتعلق بالجنس أو العرق، وانتهاء بتلك التي تتأسس على «الانتفاء الإثني أو العرق».

(٢٩) عباس الجراري، مكونات الهوية الثقافية المغربية، مقال نشر ضمن كتاب: الهوية الثقافية للمغرب، كتاب العلم، السلسلة الجديدة، ط١، ١٩٨٨م، ص ٢٢.

(٣٠) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣١) ماجد محمود، إشكالية الأنا والآخر، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، مارس ٢٠١٣م، ص ١٣-١٤.

(٣٢) المرجع السابق، ص ١٥.

(٣٣) داريوس شايفان، أوهام الهوية، ترجمة محمد علي مقداد، دار الساقبي، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٢٧.

(٣٤) محمد أزرقبي بركان، التحول هل هو بناء الهوية أم تشويه لها؟، مجلة فكر ونقد، عدد ١٢، أكتوبر ١٩٩٨، ص ٥٦.

العلاقة بين النماذج الثقافية لمجتمع معين وأنواع الشخصية السائدة بين الأفراد الذين يشكلون هذا المجتمع. وفي سنوات الثلاثينات عمل إريكسون في المحميات الهندية لقبائل السيو بداكوتا الجنوبية وفي قبيلة يوروك بكاليفورنيا الشمالية، ودرس «الاجتثاث الثقافي» لهؤلاء الهنود المعرضين لموجة الحداث. ثم نشر في سنة ١٩٥٠ كتاب «الهوية والمجتمع»، حاول فيه تجاوز نظرية «فرويد» بالتأكيد أكثر على دور التفاعلات الاجتماعية في بناء الهوية.

وهذا التعبير الذي نقرؤه اليوم في كل مكان... هو من صياغة «إريكسون»، إذن فانتشار كلمة الهوية وتوسع استخدامها في علوم الاجتماع بالولايات المتحدة كان في الستينات. ثم إن هذا الاستعمال كثر وتوسع وانتشر بسرعة كبيرة حتى صار من المستحيل أن نحدد المعنى الدقيق لكل استخدام خاص لمفهوم الهوية. ثم إن الوضع السياسي بأمريكا ساهم بدوره في ترسيخ اصطلاح الهوية، وفرضه على لغة الإعلام كما فرضه على التحليل الاجتماعي والسياسي. ذلك أنه في نهاية الستينات برزت الأقلية الأمريكية من أصل إفريقي، خصوصاً بظهور منظمة «الفهود السود» سنة ١٩٦٦. ثم أخذت أقليات أخرى حذو حركة السود مطالبة بالاعتراف بخصوصيتها. وهذه الظرفية أنتجت «صحوة هوية حقيقية» في سنوات

- ٣٥) نديم البيطار، حدود الهوية القومية: نقد عام، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١١.
- ٣٦) ياسر سليمان، اللغة العربية والهوية القومية، منشورات جامعة أدنبرة، ٢٠٠٣م، ص ٤٢.
- ٣٧) محمد عابد الجابري، الهوية العربية: من صحيفة النبي ﷺ إلى تفكك الخلافة، انظر موقع الأستاذ الدكتور محمد عابد الجابري على شبكة المعلومات الدولية: <http://www.ircam.ma/ar/index.php?soact=prophete/htm> WWW. aljabriabed.net.maj27
- ٣٨) صلاح العقاد، السياسة والمجتمع في المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٩٧.
- ٣٩) من ضمن مبادئ الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي والتي أطلق عليها فيما بعد اسم: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ما يلي:
- ٤٠) يحتفل الأمازيغ الجزائريون كل ٢٠ إبريل بالربيع الأمازيغي المرتبط بأحداث ماساوية عاشها الأمازيغ الجزائريون ويعود سبب هذا الاحتفال إلى تاريخ ١٠/٤/١٩٨٠ عندما استدعى طلبة جامعة تيزي وزو الكاتب الأمازيغي والأب الروحي للغة الأمازيغية في الجزائر «مولود معمري» ليقدم محاضرات عن اللغة الأمازيغية والشعر والحضارة الأمازيغية بيد أن السلطات قابلت هذا العرض الثقافي بالمنع مما دفع بطلبة الجامعة إلى إعلان إضراب عام ومفتوح استدعى تدخل وزير التعليم العالي من أجل البحث عن طرق لوقف الإضراب، وتدخلت قوات الشرطة وسفكت الدماء وقتل عدد من الطلاب

عام ٢٠١٠م)، ومحمد رشدي الشرايبي (مدير الديوان الملكي)، وحسن أوريد (الناطق الرسمي باسم القصر الملكي آنذاك)، وعبد الوهاب بن منصور (مؤرخ المملكة المغربية) وتبرز نوعية هذه الشخصيات التي شاركت في إعداد المرسوم المؤسس والمنظم للمعهد الطابع الرسمي والمؤسسي الخاص بإنشائه، وقد عرف المعهد بعض المشكلات في تسييره في البداية، خاصة خلال بعض الأحداث التي تهم الأمازيغية، وفي شأن تسيير المعهد مثل انتخاب أعضاء مجلس إدارته، حيث شهدت سنة ٢٠١٠ صراعاً بين النخب الأمازيغية على المقاعد الشاغرة في مجلس إدارة المعهد إلا أن أصحاب سبعة مقاعد من أصل تسعة انسحبوا من مجلس إدارة المعهد في عام ٢٠٠٥م بسبب ما سموه في بيان صادر عنهم بـ «غياب الإرادة السياسية لدى الحكومة لرد الاعتبار للأمازيغية وتنميتها» لمزيد من التفاصيل انظر:

– بيان للمنسحبين من مجلس إدارة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، فاس، ١٦ أكتوبر عام ٢٠٠٥م.

(45) Robert Montagne, Les Berberes et la Makhzen dans le sud du Maroc: Essai sur la Transformation

والنشطاء واعتقل العشرات من نشطاء النهضة الأمازيغية.. لمزيد من التفاصيل انظر:

<http://mariazad2.arabblogs.com/AM4.htm>

(٤١) مولود معمري روائي وباحث أمازيغي جزائري متخصص في اللسانيات الأمازيغية ولد ٢٨ ديسمبر ١٩١٧، وتوفي عام ١٩٨٩ في حادث مرور واتهمت السلطات الجزائرية بتدبيره. لمزيد من التفاصيل انظر موسوعة ويكيبيديا:

<http://ar.wikipedia.org>

(٤٢) محمد مصباحي، الأمازيغية في المغرب: جدل الداخل والخارج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المغرب، سلسلة تقييم حالة، ٢٠١١م، ص ٤.

(٤٣) أحمد عصيد، سياسة تدبير الشأن الأمازيغي بالمغرب بين التعاقد السياسي وسياسة الاستيعاب، المرصد الأمازيغي للحقوق والحريات، ٢٠٠٩م، ص ٣٧.

(٤٤) أعد نص هذا المرسوم عن طريق لجنة سميت باللجنة الخماسية، مكونة من شخصيات مرموقة في الدولة يتقدمها (المدير السابق للمدرسة الصوفية المسماة بـ المولوية ومعلم الملك محمد السادس في طفولته) وأربع شخصيات أخرى هي: عبد العزيز مزيان بلققيه (مستشار الملك - توفي

(٥٢) حرش عبد الله، الأمازيغية بين الحقيقة الثقافية والتناول المؤسساتي، جريدة الاتحاد الاشتراكي، المغرب، ١٦ يناير ١٩٩٤.

(٥٣) محمد جسوس، أطروحات بصدد الأمازيغية والمسألة الثقافية بالمغرب، آفاق، اتحاد كتاب المغرب، ١/١٩٩٢ ص ١٠١.

\*\*\*\*

Politique des berberes sedentaires  
Groupe Chleuh, Paris, Libr. Felix  
Alcan, 1930.

(٤٦) محمد الغيلاني، مقالة بعنوان: تجربة البعثة العلمية ميشو بليز وروبير مونتاني، جريدة المساء، المغرب، بتاريخ ٣ سبتمبر عام ٢٠٠٨م.

(٤٧) يونس أبو أيوب، المغرب: إصلاح السياسات وتجزئة الهويات، نشرة الإصلاح العربي، معهد كارنيجي للسلام العالمي، ٦ يوليو، ٢٠١١م.

(٤٨) لماذا الأمازيغية؟ منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، الرباط، ١٩٩٤، ص ٢٩.

(٤٩) إدريس جنداري، مقالة بعنوان: الأطروحة الأمازيغية في المغرب بين المشروع الكولونيالي والرهان الوطني، مجلة أخبار العرب، الرباط، المغرب، ٢ نوفمبر ٢٠١١م (بتصرف).

(٥٠) دو سوسير، دروس في اللسانيات العامة، ترجمة. صالح القرمادي، محمد الشاوني، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ص ٢٩٢.

(٥١) سورة الروم، الآية: ٢٢.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.win2pdf.com>.  
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.  
This page will not be added after purchasing Win2PDF.